القراءات بين الإفراد والجمع

"دراسة في البنية والدلالة"

د. تامر سعد إبراهيم خضر[1]

مقدمة:

يمثل القرآن الكريم واقعًا لغويًا فريدًا ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾. فهو– من ناحية– قد توافرت له من وسائل الحفظ وطرق التوثيق ما لم يتوافر لأي نص آخر، ديني أو غير ديني. وهو– من ناحية أخرى– قد اجتمعت فيه كل مظاهر الأداء الفني والبلاغي، واحتوى من وسائل التأثير، وأسرار التعبير ما لا يتطاول إليه أي عمل سابق أو لاحق.

ولم تكن معجزة القرآن اللغوية مقصورة على جانب الشكل الخارجي، أو الإطار الظاهري. فجانب اللغة يجتمع بين الشكل والمضمون، بين اللفظ والفكرة، بين الأداء والمحتوى. وهكذا جاء إعجاز القرآن اللغوي جامعًا للناحيتين؛ فإعجازه في شكله، كما هو في مضمونه، بل يزيد على ذلك إعجازًا آخر في ملائمته بين الشكل والمضمون.

وللقراءات القرآنية إعجازٌ خاصٌ، حيث تزيد على المعجزة اللغوية أنها جاءت قصدًا للتيسير على الأمة؛ قد تكفل ابن الجزري ببيان الحكمة في تعدد القراءات في النص المصحفي[2]، فقال: «فأما سبب وروده على سبعة أخرف فللتخفيف

---

(1) **د. تامر سعد إبراهيم خضر**: مدرس علم اللغة وعلم اللغة المقارن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة قناة السويس.

(2) ابن الجزري، الإمام الحافظ أبو الخير، النشر في القراءات العشر، 318/1.

(ISSN : 2536 - 9555)

على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها. وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها، وإصابة لقصد نبيّها. حيث أتاه جبريل فقال له: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على حرف، فقال– صلى الله عليه وسلم–: أسأل الله معونتَه. إنَّ أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف».

وبعد أن استشهد ابن الجزري ببعض الأحاديث الصحيحة استمر في بيان الحكمة قائلاً: «إن الأنبياء– عليهم السلام– كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبيُّ– صلى الله عليه وسلم– بعث إلى جميع الخلق: أحمرها وأسودها، عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقالُ من لغةٍ إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر. بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج، لاسيما الشيخُ والمرأةُ ومن لم يقرأ كتابًا. فلو كُلِّفوا العدولَ عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع».

وزاد ابن قتيبة[3] الأمر تفصيلاً، فقال: «فكان من تيسيره أن أمره الله أن يقرِئ كل قوم بلغتهم. فالهزلي يقرأ: عتى حين. والأسدي يقرأ: تِعْلَمون. والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ: وإذا قيل لهم، وغيض الماء بإشمام الضم. ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمِر أن يزول عن لغتهم وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئًا وكهلاً لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه».

وحديث نزول القرآن على سبعة أحرف من الأحاديث التي قبلها العلماء

(3) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981م، ص30.

واشتهرت بينهم، وتناقلها الثقات جيلاً عن جيل[4].

وقد روي أن عثمان بن عفان حينما صعد المنبر، وسأل من سمع النبيّ– صلى الله عليه وسلم– يقول: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ» أن يقوم؛ قام الكثيرون حتى لم يحصوا، فعقب عثمان قائلاً: وأنا أشهد معهم»[5].

وإذا كان الفقهاء والقراء والأصوليون قد قسموا القراءات إلى مجموعات حسب درجات صحتها. ووضعوا لقبولها شروطًا ثلاثة هي: موافقتها لأحد المصاحف العثمانية، وموافقتها العربية، وصحة سندها، فقد حكمتهم في ذلك نظرتهم إلى القراءة باعتبارها وسيلة تعبد وتقرب إلى الله، وشرطًا لصحة الصلاة ومصدرًا للتشريع والتحريم والتحليل.

أما اللغويون فقد كان لهم من القراءات موقف مختلف، حكمتهم فيه نظرتهم إلى القراءة باعتبارها أحد المصادر اللغوية المعتمدة، وشاهدًا لا يمكن التعامل معه بمعزل عن سائر الشواهد اللغوية، ويتلخص هذا الموقف في تطبيق شروط الشاهد اللغوي على القراءة، فما استوفاها قبلوه، وما أخل بها استبعدوه. ومن هنا كان شرط اللغويين الوحيد لقبول القراءة هو "صحة روايتها عن القارئ العدل حتى لو كان فردًا".

---

(4) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د.ت، 25/1؛ والنشر، 21/1؛ القسطلاني، شهاب الدين، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: عامر السيد عثمان، د. عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1972م، 31/1.

(5) النشر، 21/1؛ السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، الحلبي، مصر، الطبعة الرابعة، 1978م، 45/1.

(ISSN : 2536 - 9555)

ويستوي عندهم أن تروى القراءة بطريق التواتر أو بطريق الآحاد. كما يستوي عندهم أن تكون القراءة سبعية أو عشرية أو شاذة(*).

بل إن ابن جني في مقدمة كتابه "المحتسب" كان حريصًا على وضع القراءة الشاذة على قدم المساواة مع القراءة السبعية، وذلك في قوله: "إنه نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالرواية من أمامه وورائه، ولعله أو كثيرًا منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه"(6).

موضوع الدراسة:

لفت نظري أثناء انشغالي بقراءة المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته للأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر(7)، كثرة المواضع القرائية التي قد تعاقبت عليها صيغتا المفرد والجمع، فقد جاء اللفظ الواحد مقروءًا مرة بالإفراد في قراءة أخرى بالجمع واللفظ يحتمله رسمًا، فضلاً عما يكون بين القراءتين من فروق في المعنى، هذا الذي جعل ابن جني (ت:392هـ) يقف وقفات رائعة في بيان دقائق الفروق بين صيغ الإفراد والجمع فيما تعددت قراءته من النظم الحكيم.

ومن ذلك: تعليله لقراءة الأعمش بإفراد المسكن في قوله تعالى مصورًا هلاك قوم عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾(8).

(*) أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 2006م، ص140.

(6) ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، 32/1.

(7) أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، شركة سطور، الرياض، الطبعة الأولى، 1413هـ/2002م.

(8) الأحقاف، 25.

يقول أبو الفتح: "وحسن أيضًا أن يريد بمسكنهم هنا الجماعة وإن كان قد جاء بلفظ الواحد، وذلك أنه موضع تقليل لهم، وذكر العفاء عليهم، فلاق بالموضوع ذكر الواحد لقلته عن الجماعة، كما أن قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾[9]، أي: أطفالاً. وحسن لفظ الواحد هنا؛ لأنه موضع تصغير لشأن الإنسان، وتحقيره لأمره، فلاق به ذكر الواحد لذلك، لقلته عن الجماعة؛ ولأن معناه أيضًا نخرج كل واحد منكم طفلاً، وقد ذكرنا نحو هذا. وهذا مما إذا سئل الناس عنه قالوا: وضع الواحد موضع الجماعة اتساعًا في اللغة، وأُنْسُوا حفظ المعنى ومقابلة اللفظ به؛ لتقوى دلالته عليه، وتنضم بالشبه إليه[10].

والشاهد من كلام ابن جني وهو موضوع البحث؛ قوله: «قالوا: وضع الواحد موضع الجماعة اتساعًا في اللغة، وأنسُوا حفظ المعنى ومقابلة اللفظ، لتقوي دلالته عليه، وتنضم بالشبه إليه»؛ فتغاير القراءات بين المفرد والجمع للفظ الواحد له توجيه دلالي وفائدة في السياق.

ومنه: ما جاء في تعليله أيضًا لقراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك وأبي شيخ الهُنائي والكلبي وابن السَّمَيفع (عبدي) بالإفراد في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[11].

قال أبو الفتح: هذا لفظ الواحد، ومعنى الجماعة، أي: عبادي، كالقراءة العامة. وقد تقدم القول على نظيره، وأنه إنما خرج بلفظ الواحد ليس اتساعًا واختصارًا عاريًا من المعنى؛ وذلك أنه جعل عباده كالواحد، أي: لا خلاف بينهم

(9) الحج، 5.
(10) ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ج2، ص315.
(11) الفجر، 29-30.

(ISSN : 2536 - 9555)

في عبوديته، كما لا يخالف الإنسان نفسه، فيصير كقول النبي– صلى الله عليه وسلم–: «وهم يدٌ على من سواهم»[12]، أي: متضافرون متعاونون، لا يقعد بعضهم عن بعض، كما لا يخون بعض اليد بعضًا، وهذا قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾[13][14].

وقد لفت نظري أن هذا التنوع غطى كل الأشكال التي تعرفها اللغة العربية، وهي جمع التكسير (بأنواعه المعروفة: جمع القلة، وجمع الكثرة، وصيغة منتهى الجمع، وجمع الجمع)، وجمع المذكر السالم وملحقه، وجمع المؤنث السالم وملحقه، واسم الجمع، واسم الجنس الجمعي، واسم الجنس الإفرادي.

كما لفت نظري كثرة المفردات التي تغايرت بين الإفراد والجمع في القراءات القرآنية وإن كنت استشهدت بكلام ابن جني في موضوع البحث؛ فلأنه لفت النظر إلى أن تلوين الخطاب ليس اتساعًا للغة فقط وإنما لإفادة معنى وإضافة دلالة وخدمة للسياق؛ والمحتسب لابن جني كما نعرف في شواذ القراءات.

وأما بحثي سيكون في القراءات المتواترة العشر، وقد أحصيتُ المفردات التي تغايرت فيها القراءات بين الإفراد والجمع من الفاتحة إلى الناس، ولكنني اقتصرتُ على نصف القرآن من الفاتحة إلى الكهف لمحدودية المسموح به من عدد الصفحات المنشورة في أي مجلة علمية.

وقد اتبعتُ في بحثي الآتي:

---

(12) رواه مسلم (4734).

(13) المحتسب، 425/2، 426.

(14) عبد الكريم إبراهيم صالح، الإعجاز في تنوَّع وجوه القراءات القرآنية، دار الصفوة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2018م، ص185.

1. ذكر القراءات المتواترة الوارد للفظ الذي تغايرت فيه القراءات بين الإفراد والجمع.
2. ذكر البنية الصرفية من حيث الشكل والضبط للقراءات المتواترة للفظ.
3. ربط البنية الصرفية سواء بالإفراد أو بالجمع بالسياق العام للآية مجتهدًا في التفتيش عن الأسباب الفنية والدلالية التي استوجبت تلوين الخطاب في القراءات، ولابد أن يكون لهذا سبب، خاصة أنه ورد في نص استجمع كل مقومات البلاغة، وبلغ الذروة في إعجازه الفني، وهو القرآن الكريم.
4. استبعدت الألفاظ التي لم أجد لتغايرها تفسيرًا منطقيًا عقيلاً كلفظ (الرياح) في سورة البقرة الآية 164؛ فقد ذكر الكثير من المفسرين أن لفظ الجمع يأتي للخير، والمفرد يأتي للشر والعذاب.
5. استبعدت اللفظ المكرر بين السور إذا كان التوجيه الدلالي واحدًا؛ كألفاظ (طيرًا– طائرً) آل عمران/ 39– المائدة/ 110، (مكانتكم– مكاناتكم)، الأنعام/ 135– هود/ 93 و121. وغير ذلك من المواضع.

﴿سورة البقرة﴾

[1] قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[15].

ففي قوله: ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ قراءتان متواترتان:

الأولى: ﴿خَطِيئَاتُهُ﴾ بجمع السلامة، قرأها نافع وحده[*].

الثانية: ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ على الإفراد، وبها قرأ الباقون.

---

(15) البقرة، 81.

(*) السبعة في القراءات هم: ابن عامر (الشام)، ابن كثير (مكة)، عاصم، حمزة، الكسائي (الكوفة)، نافع (المدينة)، أبو عمرو (البصرة). أما الثلاثة فهم: أبو جعفر، يعقوب، خلف.

(ISSN : 2536 - 9555)

توجيه القراءتين:

فوجه قراءة الإفراد: إما لبيان الجنس، ومقابلة السيئة؛ لأن السيئة مفردة، أو على أن المراد بالخطيئة الشرك والكفر، ويكون المعنى: وأحاطت به خطيئتُه؛ أي: غمرته من جميع جوانبه، حتى صار كالمحاط بها، وعليه فقد فسر السلف كمجاهد وغيره الخطيئة بالشرك.

ووجه قراءة الجمع: محمول على الإحاطة والكثرة والعموم.

والدليل على أنَّ المراد به الكثرة قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾. ويقوّي هذه القراءة أنه وصف الخطيئة بالإحاطة، والإحاطة بالشيء شمولٌ له، فهي تقتضي الكثرة في حقيقة الأصل؛ لأن الجسم لا يُحيط بالجسم حتى يكون كثير الأجزاء[16].

والقراءتان توضح سبب الخلود في النار؛ إما لجنس الشرك على قراءة الإفراد، أو لكثرة الخطيئات وعمومها على قراءة الجمع.

فقراءة الإفراد على جنس الشرك، وأنه مهما حاول الخروج من الناس فكفره وشركه محيط به أينما ذهب، فهو خالد في النار.

وقراءة الجمع على التنوع والكثرة ويقصد بها الأعمال السيئات والجرائم التي ارتكبها؛ فهي محيطة به تصاحبه يوم القيامة ليخلد بها في النار.

[2] قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ

(16) ابن أبي مريم، نضر بن علي بن محمد الشيرازي، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، مكتبة النوعية الإسلامية، مصر، الطبعة الثالثة، 2005م، ج1، ص284–285.

إِخْرَاجُهُمْ﴾[17].

ففي قوله: ﴿أُسَارَى﴾ قراءتان.

الأولى: ﴿أَسْرَى﴾ قرأ بها حمزة.

الثانية: ﴿أُسَارَى﴾ قرأ بها الباقون.

توجيه القراءتين:

أما: ﴿أُسَارَى﴾ فذلك أنَّ أسيرًا هنا جُمع على أسارى تشبيهًا بكُسَالى، لمَّا كان الأسيرُ ممنوعًا عن الكثير من تصرفه شُبِّه بالكسلان الذي يمتنع عن ذلك بما فيه من العادة المذمومة التي هي الكسل، فلما أشبَهَه في المعنى شاركه في الجمع فُعالى[18].

وأما: ﴿أَسْرَى﴾؛ وذلك لأن أسرى أقيس من الأُسارى؛ لأنَّ فعيلاً إنما جاء جمعُه على فَعْلى؛ نحو: قتيل وقتلى وجريح وجَرْحَى، وأصلُ ذلك إنما يكون لما كان بمعنى مفعول، وقد حُمِل عليه أشياء وقعت مقاربةً له في المعنى نحو مَرْضَى ومَوْتَى وهَلْكَى، لما كان هؤلاء مُبتلين بهذه الأشياء التي وقعت على غير

(17) البقرة، 85.

(18) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، دار الحديث، القاهرة، 2005م، ج1، ص194؛ ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة وبيروت، الطبعة الثالثة، 1979م، ص84؛ أبو زرعة بن نجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، الرسالة، بيروت، 1982م، ص104؛ مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: د. محي الدين رمضان، الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م، ج1، ص251، 252؛ البناء، أحمد بن محمد الدمياطي، أتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، تعليق وتصحيح: الشيخ المرحوم علي محمد الضباع، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، د.ت، ص141.

(ISSN : 2536 - 9555)

اختيارهم شُبِّهوا بالجرحى والقتلى إذ كانوا أيضًا كذلك[19].

وسر الانتقال بين ﴿الأسرى) و(أسارى﴾ في القراءات هنا لهذه الآية هو المواءمة اللفظية والمعنوية؛ ومحاولة العلماء تفسير تلوين الخطاب على كيفية شكل الأسير وقت أسره.

وعلى الرغم من أن الكلمتين جمعان إلا أني أوردتهما على اعتبار أن (أسارى) جمع أسرى؛ أي من باب جمع الجمع، وأما (أسرى) فجمع أسير.

وقبل أن نبين الفرق في استعمال القرائي بين الجمعين؛ نلاحظ الآتي:

1. أن معنى "الأسير" مأخوذ من "الأسار" وهو القيد، ثم عمم المعنى فصار يطلق على كل من يؤخذ ويحبس في يد الغير حتى ولو لم يُشدّ بالقيد[20].
2. أن وزن فَعْلَى في الجمع من الأوزان القليلة الورود في القرآن الكريم؛ إذ لم يرد منه سوى: أسرى، وشتى، وصرعى، وقتلى، ومرضى، وموتى، ومثله وزن فُعالى الذي ورد في القرآن في أربع كلمات هي: أُسارى وسُكارى وفُرادى وكُسالى.
3. أن وزن فَعْلَى يكثر جميعًا فيما يدل على هلاك أو توجع أو تشتيت كالقتيل، والمريض، والجريح، وقد حُمِل عليه لفظ الأسير؛ لأنه لما أصيب بالأسر صار كالجريح واللديغ فجمع على فَعْلَى[21].
4. أقرب الآراء إلى القبول أن يكون لفظ "أسرى" جمعًا لأسير، أما "أسارى" فهو

(19) الموضح، 288/1.

(20) فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، الطبعة الأولى، 1981م، ص90.

(21) عباس أبو السعود، الفيصل في ألوان الجموع، دار المعارف، مصر، 1971م، ص56.

جمع لهذا الجمع وأريد به الكثرة[22].

[3] قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آَثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[23]:

ففي قوله: ﴿فَرِهَانٌ﴾ قراءتان متواترتان.

الأولى: ﴿فَرُهُنٌ﴾ جمع الجمع، قرأها ابن كثير وأبو عمرو.

الثانية: ﴿فَرِهَانٌ﴾ جمع، وبها قرأ الباقون.

وقبل أن أقوم بتوجيه القراءتين، أود ذكر آراء العلماء في ذلك:

قال الزجاج: قرأ الناس: "فرُهُنٌ مقبوضة"، و"فرِهانٌ مقبوضة" فأما رُهُن فهي قراءة أبي عمرو، وذكر فيه غير واحد أنها قرئت: "فرُهُنٌ" ليُفصلَ بين الرِّهان في الخيل وبين جمع رَهْن في غيرها، ورُهُن ورِهانٌ أكثر في اللغة، قال الفراء: "رُهُن" جمع رِهان.

والقراءة على "رُهُن" أعجبُ إليَّ– إلى الزجاج– لأنها موافقةٌ للمصحف، وما وافق المصحف وصح معناه وقرأت به القراء فهو المختار[24].

---

(22) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، د.ت، ص74؛ وانظر: أحمد مختار، دراسات في القرآن الكريم، ص209.

(23) البقرة، 283.

(24) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ج1، ص311–312.

﴿فرهان مقبوضة﴾ كتبت في الرسوم العثماني "رِهن" بغير ألف فهي مستكملة الشروط الثلاثة لصحة القراءة، موافقة النحو التي بها يصح المعنى، وموافقة الرسم وصحة الرواية. انظر: مقدمة ابن الجزري في النشر، ص8.

(ISSN : 2536 - 9555)

وأما في لسان العرب لابن منظور: وقد يكون رُهُنٌ جمعًا للرهان كأنه يجمع رَهْن على رِهان، ثم يجمع رِهان على رُهُن مثل فِراش وفُرُش[25].

وقال: وقرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿فرُهُنٌ مقبوضة﴾، وكان أبو عمرو يقول: الرِّهانُ في الخيل؛ قال قَعْنَب:

بانت سُعادُ، وأمسى دونها عَدَنُ وغَلِقَتْ عندها من قَبْلِكَ الرُّهُنُ[26]

قال ابن سيده: الرَّهْنُ: ما وُضِع عند الإنسان مما ينوب منابَ ما أُخِذَ منه[27].

ونخلص مما سبق إلى أن:

﴿رهانٌ﴾ جمع رَهْن؛ وهي تختص بالخيل؛ وهذا ما جعل أبو عمرو الذي قرأ: ﴿فَرُهُنٌ﴾ يعدل عن (رِهان﴾ لأنها في الخيل واستدلَّ ببيت شعرٍ؛ كما ذكر ابن منظور.

و(فَعْل) يجمع على (فِعَال) جمع كثرة نحو: كلب وكلاب، وصعب وصعاب[28].

وإذا أطلقنا ﴿رِهان﴾ في الخيل فهي تتناسب مع بداية الآية وهو السفر؛ وكان لا يوجد لدى المسافر شيء يرهنه سوى فرسه أو شيء من متاعه، ولا أثمن من الفرس حتى يأتمنه صاحبه.

وأما ﴿رُهُنٌ﴾ فهي جمع (رهان)، فهي من باب جمع الجمع، وبالتالي تطلق

(25) ابن منظور، لسان العرب، دار التوفيقية، القاهرة، 2009م، ج5، ص409.
(26) السابق، ج5، ص410.
(27) السابق، ج5، ص409.
(28) الفيصل في ألوان الجموع، ص61.

على الخيل وغيره، فهي أعم وأشمل، ومن باب التوسع في الشيء المرهون. وهي أنسب لرسم المصحف كما ذكر الزجاج.

فتلوين الخطاب في القراءات هنا بين ﴿رِهانٌ﴾ و﴿رُهُن﴾ من باب تخصيص معنى المفرد، هل يراد الخيل أم الخيل وغيره؟

[4] قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾[29].

ففي قوله: ﴿كُتُبِهِ﴾ قراءتان.

الأولى: ﴿كتابه﴾ على التوحيد، قرأ بها حمزة والكسائي.

الثانية: ﴿كتُبه﴾ على الجمع؛ قرأها أبو عمرو وعاصم ويعقوب. وكذلك ابن كثير ونافع وابن عامر.

توجيه القراءتين:

أما ﴿كتبه﴾ على الجمع؛ لأنَّ ما قبله وما بعده جمع وهو ﴿ملائكته﴾ ﴿رسله﴾ فالأولى أن يكون أيضًا مجموعًا ليُشاكل ما قبله وما بعده[30].

وأما ﴿كتابه﴾ فالمراد به وإن كان واحدًا الجنس، كما يقال: كثر الدينار والدرهم، وأهلك فلانٌ درهمَه[31].

وقيل لابن عباس في قراءته "وكتابه" فقال: كتاب أكثر من كتب، ذهب إلى اسم الجنس[32].

---

(29) البقرة، 285.

(30) الموضح، ج1، ص356.

(31) السابق، ج1، ص356.

(32) معاني القرآن للزجاج، ج1، ص313.

(ISSN : 2536 - 9555)

فتلوين الخطاب بين القراءات هنا، قُصِد به المواءمة اللفظية والمعنوية في ﴿كُتبه﴾؛ لتتناسب مع الجموع السابقة واللاحقة للكلمة.

﴿آل عمران﴾

[1] قال تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[33].

ففي قوله: ﴿طَيْرًا﴾ قراءتان.

الأولى: ﴿طَائِرًا﴾. على الإفراد؛ قرأ بها نافع ويعقوب.

والثانية: ﴿طَيْرًا﴾ على الجمع؛ قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

أما ﴿طَائِرًا﴾ فالمراد: ما أخلقه يكون طائرًا، فأفرد على معنى أنَّ كل واحد من تلك الصور يكون طائرًا، كما قال: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[34]، أي كل واحد منهم.

وأما ﴿طيرًا﴾؛ فالمعنى على الجمع، ألا ترى أنه قال: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، ولم يقل: كهيئة الطائر؛ لأن الطائر واحد، والطير جمعٌ على المشهور عندهم[35].

والجمع هنا على الأكثر في القراءات من باب الشمول والعموم وعدم التعيين، ولأنه لم يثبت أي طائرٍ خلق على التعيين؛ ولأنهم– أي: بنو إسرائيل– سألوا

---

(33) آل عمران، 49.

(34) النور، 4.

(35) الموضح، 373/1؛ النحاس، أبو جعفر، إعراب القرآن للنحاس، تحقيق: د. زهير غازي أحمد، منشورات وزارة الأوقاف العراقية، 1977م، 334/1؛ والكشف، 345/1.

عيسى على سبيل التعنُّت، والظاهر أنهم سألوه أكثر من مرة، فقام بتكرار الأمر بأكثر من صورة من صور الطير، وكان تسوية الطين والنفخ من عيسى والخلق من الله[36].

﴿النِّسَاء﴾

[1] قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ...﴾[37].

وقال تعالى: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾[38].

ففي قوله: ﴿محصنات﴾ قراءتان.

الأولى: ﴿محصِنات﴾ بكسر الصاد، قرأها الكسائي.

الثانية: ﴿محصَنات﴾ بفتح الصاد، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

أما من فتح الصاد فإنه بناه على أُحْصِنَتْ فهي مُحْصَنة، أي أحصنها غيرُها إما التزويج وإما الإسلام وإما التعفُّف وإما الوليُّ بتزويجها.

ومن كسر الصاد بناه على أحصَنَتْ بناء الفعل للفاعل، والمرادُ أحصَنَتْ نفسَها بالعفَّة أو التزوُّج[39].

فتلوين الخطاب هنا من باب تخصيص معنى المفرد.

[2] قال تعالى: ﴿... وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[40].

---

(36) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة، 2007م، ج2، ص461.

(37) النساء، 24.

(38) النساء، 25.

(39) الموضح، 144/1؛ معاني القرآن للزجاج، 29/2.

(40) النساء، 163.

(ISSN : 2536 - 9555)

قوله: ﴿زبورًا﴾ فيه قراءتان.

الأولى: ﴿زُبورًا﴾ بضم الزاي، على الجمع، قرأها حمزة وحده.

والثانية: ﴿زَبوًا﴾ بفتح الزاي على الإفراد، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

قال الزجاج: القراءة فيه بفتح الزاي وضمها، وأكثر القراء على فتح الزاي، وقد قرأت جماعة زُبُورًا بضم الزاي، منهم الأعمش وحمزة.

فمن قرأ ﴿زَبوًا﴾ بفتح الزاي فمعناها كتابًا، وهذا الوجه عند أهل اللغة، لأن الآثار كذا جاءت زبور داود، كما جاء توراهُ موسى وإنجيل عيسى.

ومن قرأ (زُبورًا) بضم الزاي فمعناه: وآتيناه كُتُبًا، جمع زَبْر وزَبور، ومفرد (فُعُول) هو (فَعْل) بشرط أن يكون مفتوح الفاء، وليس معتل العين بالواو، نحو: كَعْب وكُعُوب وعَيْن وعُيون[41].

والزَّبْر في اللغة إحكام العمل في البئر خاصة، تقول: بئر مزبورة إذا كانت مطوية بالحجارة، والزبر إحكام الكتاب، وقول الشاعر: هَوْجَاءُ ليس لِلُبِّها زَبْرُ.

يصف ريحًا، جعل هذا مثلاً لها، كأنه قال: ليس لشأنها قوة في الاستواء، وقوله عز وجلَّ: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾[42]. واحدها زُبْرَة، وهي قطع الحديد[43].

وقراءة ﴿زَبورًا﴾ أوجه عندي– الباحث– لمناسبتها سياق الآية ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

(41) عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة عشرة، 2008م، ج4، ص650.

(42) الكهف، 96.

(43) معاني القرآن للزجاج، ج2، ص107–108.

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[44].

فالسياق سياق الحديث عن الوحي للأنبياء والرسل وهو ما يتناسب مع الكتب التي أوتوها.

وأما ﴿زُبُورًا﴾ فأعتقد أن توجيهها في قراءتها ليس جمعًا للزَبور؛ بمعنى: الكتب، ولكنها جمع و(زَبْر) بمعنى القطعة من الحديد، للقاعدة الصرفية بأن (فَعْل) تجمع على (فُعُول)، ويكون المعنى: أدوات القوة المتعددة التي أوتيها داود كصناعة الدروع وغيرها مما ذكره القرآن الكريم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[45].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[46].

أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليمحص المقاتلة من الأعداء، وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾، أي: لا تدق المسمار فينفلق ولا تغلظه فيُفصم– يكسر –[47].

﴿سورة المائدة﴾

[1] قال تعالى: ﴿إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا

(44) النساء، 163.
(45) سبأ، 10–11.
(46) الأنبياء، 79–80.
(47) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار أبي حيان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1996م، ج2، ص18.

(ISSN : 2536 - 9555)

بِإِذْنِي.... ﴾[48].

ففي قوله: ﴿طيرًا﴾ قراءتان.

الأولى: ﴿طائرًا﴾ قرأها نافع ويعقوب.

والثانية: ﴿طيرًا﴾ قرأها الباقون.

وسبق توجيه القراءتين في آية سورة آل عمران.

﴿سورة الأنعام﴾

[1] قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[49].

ففي قوله: ﴿ثمره﴾ قراءتان.

الأولى: ﴿ثُمُره﴾ بضمتين، جمع الجمع، قرأها حمزة والكسائي.

الثانية: ﴿ثَمَره﴾ بفتحتين، جمع، قرأها عاصم ويعقوب.

توجيه القراءتين:

قراءة ﴿ثُمُره﴾: فهو على أنه جمع الجمع، ثُمُر جمع ثمار ككتاب وكُتُب، وثمار جمع ثمرة.

وقراءة ﴿ثَمَره﴾، على أنه جمع ثَمَرةٍ كبَقَر في جمع بَقَرة وشَجَر في جميع شجرة، وما كان من هذا النوع من الجمع أعني ما بين واحده وجمعه الهاء، فإنَّ

(48) المائدة، 110.

(49) الأنعام، 99.

أكثر النحويين يسمونه جنسًا وليس بجمع[50].

وتلوين الخطاب في القراءتين جاء هنا لخدمة النص، وذلك أن قراءة الضمتين (ثُمُره) تتناسب مع السياق وهو كثرة النعم التي أوردها سياق الآية؛ فتناسب مع جمع الجمع، وكذلك تتناسب مع مضمون الآية؛ وهي أنَّ الله احتج عليهم بتصريف ما خلق ونقله من حال إلى حال، بما يعلمون أنه لا يقدر عليه المخلوقات، وأنه كذلك يبعثهم لأنهم كانوا يُنكرون البعث فقال لهم: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، فأعلمهم أن فيما قص دليلاً لمن صدَّق[51].

قال مجاهد: التَّمر أصناف المال، والتَّمَر ثمر النخيل، وكأنَّ المعنى على قول مجاهد: انظروا إلى الأموال التي يتحصل منه والثَّمَر، فالثُّمُر بضمتين جمع ثمار وهو المال المُثَمَّر[52].

[2] قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[53].

في قوله: (قُبلاً) قراءتان.

الأولى: ﴿قِبلاً﴾ بكسر القاف وفتح الباء قرأها نافع وابن عامر، على الإفراد، وكذلك في الكهف ﴿العذاب قِبَلاً﴾[54].

الثانية: (قُبُلاً) قرأها الكوفيون بضم القاف والباء في السورتين على الجمع.

---

(50) الموضح، 489/1-490؛ معاني القرآن للزجاج، 223/2.

(51) معاني القرآن للزجاج، 223/2.

(52) القرطبي، ج4، ص46.

(53) الأنعام، 111.

(54) الكهف، 55.

(ISSN : 2536 - 9555)

توجيه القراءتين:

قوله: ﴿قِبَلاً﴾ بكسر القاف وفتح الباء: فالمراد معاينةً؛ أي لو حشرنا عليهم كلَّ شيءٍ معاينةً فشهدوا بنبوتِك لم يؤمنوا، كأنهم من شدة عنادهم شكُّوا في المشاهدات التي لاشك فيها، وكذلك ما في الكهف ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قِبَلاً﴾ أي مقابلةً ومعاينةً.

وفي حديث آدم: أن الله خلقه بيده ثمَّ سوَّاه قِبَلا، أي عيانًا ومقابلة لا من وراء حجاب(55).

وأما ﴿قُبُلاً﴾ بضمتين فلا يجوز أن يكون جمع قبيل وهو الصِنف، أي لو حشرنا عليهم كل شيء صنفًا لم يؤمنوا، واجتماع جميع الأشياء ليس في العرف.

ويجوز أن يكون جمع قبيل وهو الضمين، أي وحشرنا عليهم كلَّ شيء فكفلوا لهم بأنَّ ما تقوله حق(56).

وأعتقد أن المقصود من (قُبُلا) أن تكون جمعًا لـ(قبيل) وهي جماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعدًا من قوم شتى كالزِّنج والروم والعرب، وقد يكونون من نحو واحد(57).

وكل اسم رباعي قبل لامه مد، صحيح الآخر، مذكرًا كان أو مؤنثًا، يجمع على (فُعُل) بضمتين، كقضيب وقُضُب، وعمود وعُمُد(58).

---

(55) لسان العرب، 18/11.

(56) الموضح، 494/1؛ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م، 229/2.

(57) لسان العرب، 21/11.

(58) الفيصل، ص48.

قال ابن منظور: وفي التنزيل العزيز: ﴿وحشرنا عليهم كلَّ شيءٍ قُبُلاً﴾، ويُقرأُ قُبُلاً، فقِبَلا عيانًا، وقُبُلا قبيلاً قبيلاً، وقيل قُبُلاً مستقبلاً... وفي التهذيب: ويجوز أن يكون قُبُل جمع قبيل ومعناه الكفيل، ويكون المعنى: لو حشر عليهم كل شيء فكفَل لهم بصحة ما يقول ما كانوا ليؤمنوا.

الزجاج: ... فمن قال قُبُلا فهو جمع قبيل، المعنى أو يأتيهم العذابُ ضُروبًا، ومن قال قِبَلا فاملعنى أو يأتيهم العذابُ معاينةً، ومن قال قَبَلاً فالمعنى أو يأتيهم العذابُ مقابلة(59).

وتلوين الخطاب بين القراءتين لخدمة المعنى المقصود من السياق.

فلو قرأناها ﴿قُبُلاً﴾ بضمتين؛ تكون بمعنى: حشرنا عليهم كل صنف؛ فهو إجمال بعد تفصيل للعموم والشمول، أي: لو حشرنا الملائكة وكلَّمهم الموتى وآتيناهم بجميع الأصناف وتمت فيها المعجزات لن يؤمنوا إلا أن يشاء الله.

وأما ﴿قِبَلاً﴾ تكون بمعنى لو أننا آتينا الملائكة والموتى أمام الناس معاينةً وشاهدوهم وكلموهم لن يؤمنوا إلا أن يشاء الله.

والقراءتان تتناسبان مع سياق الآية.

[3] قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(60).

في قوله: ﴿كَلِمَةُ﴾ قراءتان.

الأولى: ﴿كَلِمات﴾ قرأها نافع وابن عمر على الجمع.

(59) لسان العرب، 22/11.
(60) الأنعام، 115.

(ISSN : 2536 - 9555)

الثانية: ﴿كَلِمَتُ﴾ قرأها الباقون على التوحيد.

توجيه القراءتين:

قوله: ﴿كلمات﴾؛ المراد ما جاء في كلامه تعالى في وعدٍ ووعيد وثوابٍ وعقابٍ فهي ضروب، فلهذا جُمِعَت، فأراد أن لا تبديل فيها ولا تغيير.

وكأن القرطبي يرجع قراءة الجمع؛ فيقول: قوله تعالى: ﴿وتمت كلماتُ ربّك﴾ قراءة أهل الكوفة بالتوحيد، وبالباقون بالجمع، قال ابن عباس: مواعيد ربك، فلا مُغير لها، والكلمات ترجع إلى العبارات أو إلى المتعلقات من الوعد والوعيد وغيرهما، قال قتادة: الكلمات هي القرآن لا مبدل له... وحكى الرماني عن قتادة: لا مبدِّل لها فيما حكم به؛ أي إنه وإن أمكنه التغيير والتبديل في الألفاظ كما غيَّر أهل الكتاب التوراة والإنجيل لا يعتد بذلك[61].

وأما ﴿كلمة﴾ على التوحيد، ولكن يُراد بها الكثرة، فإنهم يذكرون الكلمة ويرون بها القصيدة والخُطبةَ، يُقال قال زُهير في كلمته، وقال قُسٌّ في كلمته، فمحصول ذلك أنه يُراد بالكلمة ما يُراد بالكلمات[62].

[4] قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[63].

فقوله: ﴿مكانتكم﴾ فيه قراءتان:

الأولى: ﴿مكاناتكم﴾ على الجمع، قرأها عاصم وحده في كل القرآن.

---

(61) القرطبي، 65/4.

(62) الموضح، 495/1–496 بتصرُّف؛ وانظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م، ج209/4.

(63) الأنعام، 135.

الثانية: ﴿مكانتكم﴾ على الوحدة، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

فقراءة ﴿مكاناتكم﴾: على أنها جمع مكانة، وهي مصدر من مَكُن يمكُن مكانةً عند السلطان، والمصادر قد تجمع على إرادة اختلاف الأنواع، وقد جُمِع الحِلمُ والعِلمُ على الأحلام والحلوم والعلوم، وقد جُمع الشُّغل على الأشغال، ومثل ذلك كثير(64).

ويمكن توجيه المعنى هنا: اعملوا على تمكنكم وعلى ما تملكون من سلطان، وجمع من باب التحدي؛ أي: ابذلوا ما بدا لكم من قوة ومكانة؛ كقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾(65).

وأما قراءة ﴿مكانتكم﴾ على الوحدة؛ وذلك أنه يقال للرجل إذا أمرتَه أن يثبت على حالٍ: على مكانتك يا فلان، أي اثبت على ما أنت عليه. فإن قال قائل: فكيف يجوز أن يأمرهم النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – أن يُقيموا على الكفر؟ فيقول لهم: ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ فإنما معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد، لأنَّ قوله لهم: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقد أعلمهم أن من عمله بعملهم فإلى النار مصيره، فقال لهم: أقيموا على ما أنتم عليه إن رضيتم العذاب بالنار(66).

ابن سيده: والمكانة: بالمنزلة عند الملك، والجمع مكانات، ولا يجمع جمع

(64) الموضح، ج1، ص504.
(65) الأعراف، 195.
(66) معاني القرآن للزجاج، ج2، ص237–238؛ والقرطبي، ج4، ص80؛ والبحر المحيط، 226/4.

(ISSN : 2536 - 9555)

التكسير[67]، وتم جمع المصدر هنا لسببين: لأنه مختوم بالتاء، ولأنه مصدر مبين للنوع أو للعدد[68].

﴿سورة الأعراف﴾

[1] قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[69].

ففي قوله: ﴿بُشْرًا﴾ أربع قراءات:

الأولى: ﴿نَشْرًا﴾ مفتوحة النون، وساكنة الشين؛ قرأها حمزة والكسائي.

الثانية: ﴿نُشْرًا﴾ بضم النون وإسكان الشين، قرأها ابن عامر.

الثالثة: ﴿نُشُرًا﴾ بضم النون والشين، قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب.

الرابع: ﴿بُشْرًا﴾ بالباء مضمومة، والشين ساكنة، قرأها عاصم.

توجيه القراءات:

قوله: ﴿نَشْرًا﴾ بفتح النون وسكون الشين؛ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون مصدرًا في موضع الحال، والتقدير: ناشرة، كما تقول: أتانا ركضًا أي راكضًا.

والثاني: أن ينتصب انتصابَ المصادر؛ لأنه لما قال يُرسل الرياحَ، دلَّ هذا

(67) لسان العرب، 175/13.

(68) الفيصل، ص282.

(69) الأعراف، 57.

على يَنْشر، كأنه قال ينشر الريح السحاب نشرًا، والنشر ههنا ضد الطيّ[70].

قال ابن منظور: ومن قرأ (نَشْرًا) فمعناه إحياءً بنشْر السحاب الذي فيه المطر الذي هو حياة كل شيء.

وقال الزجاج: من قرأ (نَشْرًا) فالمعنى: وهو الذي يُرسل الرياح منتشرة نَشْرًا.

والنَّشْر: أن يخرج النَّبْت ثم يبطئَ عليه المطر فييبس ثم يصيبَه مطر فينبت بعد اليُبس[71].

والمعنى على الوجه الأول (الحال) أتت (نَشْرًا) لبيان هيئة الريح متضمنة معنى (في)؛ ويكون المعنى: إن الرياح تبسط السحاب في السماء.

وعلى الوجه الثاني (انتصاب المصدر) أتت (نَشْرًا) نائب عن المفعول المطلق لبيان نوع الفعل وهو إرسال الريح للإحياء والرحمة.

وأما قراءة ﴿نُشْرًا﴾ بضم النون وسكون الشين.

يجوز أن يكون جمع ريحٍ نَشورٍ أو جمع ريح ناشر[72].

فإذا كان جمع نشور احتمل أن يكون فَعُول بمعنى مفعول كما أن ركوبًا بمعنى مركوب[73].

وما قاله ابن أبي مريم خطأ في القياس لأن (فعول) لا تجمع على (فُعُل) إذا كانت بمعنى مفعول.

---

(70) الموضح، 533/2؛ معاني القرآن للزجاج، 279/2.
(71) لسان العرب، 153/14.
(72) الموضح، 533/2.
(73) الموضح، 533/2.

(ISSN : 2536 - 9555)

والكلمة ههنا من: نَشَر الله الميت وأَنْشَرَه: أحياه؛ قال الأعشى:

حتـــى يقـــولَ النـــاسُ ممـــا رأوا يـــا عجبًـــا للميـــت الناشـــر

وفي التنزيل العزيز: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ قرأها ابن عباس كيف نُنْشِرُها، وقرأها الحسن: نَنْشُرُها؛ وقال الفراء: كيف نُنْشِرُها، بضم النون؛ فإنشارُها إحياؤها، واحتج ابن عباس بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾، قال: ومن قرأها نَنْشُرُها وهي قراءة الحسن فكأنه يذهب بها إلى النشر والطيّ، والوجه أن يقال: أنشَرَ الله الموتى فَنَشَروا هُمْ إذا حَيُوا وأنشَرَهم الله أي أحياهم[74].

وقال أبو الفتح: والنُشُر جمع نَشور لأنها تنشر السحاب وتستدره[*]، والتثقيل أفصح لأنه لغة الحجازيين– يقصد "نُشُرًا" بضمتين–، والتخفيف في نحو ذلك لتميم[75]– يقصد "نُشْرًا" بضم وسكون–.

وقراءة ﴿نُشُرًا﴾ بضم النون والشين.

والوجه هو ما تقدم في قراءة ابن عامر (نَشْرًا)، وهذه (نُشُرًا) هي الأصل، وتلك (نَشْرًا)، مخففة عنها[76].

والدليل على أن هذا الأصل (نُشُرًا)؛ أن (فَعول) مفتوح العين بمعنى فاعل تجمع على (فُعُل) بضمتين؛ كغفور وغَفُر، وشكور وشُكُر؛ فالمعنى هنا: ريحٌ ناشر؛ أي تنشر السحاب، فإن كان فعول بمعنى مفعول كركوب بمعنى ما يركب

(74) لسان العرب، 152/14.
(*) تستجلبه.
(75) المحتسب، 367/1.
(76) الموضح، 533/2.

لم يجمع على فُعُل[77].

وقراءة ﴿بُشْرًا﴾ بالباء مضمومة، والشين ساكنة.

والوجه أن ﴿بُشْرًا﴾ جمع بشير من قوله: ﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾، أي: وتُبشِّر بالمطر، وفعيل يُجمع على فُعُل[78].

ثم خُفِّفت (بُشُر) بضمتين إلى (بُشْر) بضم وسكون.

وهو من البِشارة: حَسَن البَشَرَة؛ قال أبو إسحاق: قيل: لما يُفرَح به بِشارة لأن الإنسان إذا فرِح حسنت بَشرته.

فإن قيل: فإن البَشْرة قد يبين عليها الحسن تارة والقبحُ أخرى فكيف خُصَّ به هاهنا حسنُها دون قبحها؟

قيل: من عادتهم أن يوقعوا على الشيء الذي يختصونه بالمدح اسمَ الجنس المطلق على جميع أجزائه المختلفة؛ ألا تراهم قالوا: لفلان خُلُق فخصوه بالمدح، وإن كان الخلق يكون قبيحًا كما يكون حسنًا.

وقالوا: للكعبة: بيت الله، والبيوت كلها لله، فخصوا باسم الجنس أشرفَ أنواعه.

وقالوا: فلان متكلم، يعنون به صاحب النظر، والناس كلهم متكلمون[79].

[2] قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾[80].

(77) الفيصل، ص47؛ النحو الوافي، ج4، ص642.
(78) الموضح، 534/2.
(79) المحتسب، 368/1.
(80) الأعراف، 148.

(ISSN : 2536 - 9555)

ففي قوله: ﴿حُلِيّهم﴾ ثلاث قراءات.

الأولى: ﴿حُلِيّهم﴾ بفتح الحاء وسكون اللام وتخفيف الياء، قرأها يعقوب وحده.

الثانية: ﴿حِلِيّهِمْ﴾ مكسورة الحاء واللام، مشددة الياء، قرأها حمزة والكسائي.

الثالثة: ﴿حُلِيّهِمْ﴾ بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء، قرأها الباقون.

توجيه القراءات:

قوله: ﴿حَلْيِهِمْ﴾: مفرد، والحَلْيُ: ما تُزيّنَ به من مَصوغِ المعدنيَّاتِ أو الحجارة[81].

وقوله: ﴿حِلِيّهِمْ﴾: جمعُ حَلْي، والأصل أن حَلْي تجمع على حُلِيّ بضم الحاء، كما قيل: كَعْب وكُعُوب، والأصل: حُلُويٌ على فُعُول، فاجتمع الواو والياء وسبق أحدُهما بالسكون، فأبدلت ضمة ما قبل الواو كسرة، فانقلبت الواو ياء، فأدغمت الياء في الياء، فبقي حُلِيّ، ثم إنَّهم لما جمعوا عليه هذين التغييرين المذكورين من إبدال الضمة كسرة وقلب الواو ياء، أُجتُرِئَ عليه فغُيِّر أيضًا تغييرًا آخر، وهو إبدال ضمة الأول من الكلمة وهو الحاء كسرة إتباعًا لكسرة ما بعده وهو اللام من حُلِيّ، فبقي حِلِيّ بكسر الحاء[82].

وأما قوله: ﴿حُلِيّهِمْ﴾: فهو الأصل في جمع (حَلْي) لما تقدَّم.

وتلوين الخطاب بين المفرد والجمع للكلمة هنا يتناسب مع السياق، فالإفراد يتناسب مع الشكل النهائي للعجل المزين بالمصوغات وظهوره قطعة واحدة بعد انصهار مكوناته.

---

(81) لسان العرب، 362/3.

(82) الموضح، 555/2–556.

فإن قيل: المفرد لا يتناسب مع ما قبلها من دلالة الجمعية على الأمر: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ...﴾، فقد جمعوا من بينهم هذه المصوغات والحُلِيّ.

أجيب: بأنه وإن كان مفردًا للدلالة على الشكل الخارجي النهائي، فقد أريد به الجمع أيضًا لأنه مضاف إلى الجمع، كما قال تعالى: ﴿وعلى سمعهم﴾ أراد أسماعهم.

وأما الجمع ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ يتناسب مع كثرة ما جمعه بنو إسرائيل من مصوغات لإنشاء هذا العجل، وهو مناسب للسياق ومضمون الآية.

[3] قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[83].

ففي قوله: ﴿إصرهم﴾ قراءتان متواترتان.

الأولى: ﴿ويضع عنهم آصارهم﴾ بالجمع، قرأها ابن عامر وحده.

الثانية: ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ على الواحد، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

أما قوله: ﴿آصارهم﴾ فهو جمع إصر، والإصر مصدرُ إلا أنه جُمِع لاختلاف ضروبه؛ لأنه أراد ضروبًا مختلفةً من الأثقال، فآصار كأثقال، كما أن الثقل يجمع

(83) الأعراف، 157.

(ISSN : 2536 - 9555)

على الأثقال لاختلاف ضروبه، فكذلك الإصر يجمع على الآصار[84].

وقوله: ﴿إصرهم﴾؛ فهو مصدر يقع بلفظه على الكثرة، ولهذا أضافه وهو مفرد إلى الجمع[85].

قال ابن منظور: وقوله– عز وجل–: ﴿ويضع عنهم إصرَهم﴾، أي ما عُقِدَ عَقْد ثقيل عليهم مثل قَتْلهم أنفسهم وما أشبه ذلك من قرض الجلد إذا أصابته النجاسة..

وأصل الإصر: الثِّقْل والشَّدّ لأنها أثقل الأيمان وأضيقُها مخرجًا. يعني أنه يجب الوفاء به ولا يُتعَوَّضُ عنها بالكفارة[86].

والجمع أوجه عندي لمناسبة الضروب المختلفة من الأثقال؛ فإنَّ بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال، فوضع عنهم بمحمد– صلى الله عليه وسلم–، ذلك العهد وثقل تلك الأعمال، كغسل البول، وتحليل الغنائم، ومجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها، فإنهم كانوا إذا أصاب ثوب أحدهم بول قرضه[87].

[4] قال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[88].

ففي قوله: ﴿خطيئاتكم﴾ ثلاث قراءات.

---

(84) الموضح، 558/2؛ لسان العرب، 180/1.
(85) الموضح، 558/2.
(86) لسان العرب، 190/1.
(87) القرطبي، ج4، 260.
(88) الأعراف، 161.

الأولى: ﴿خطاياكم﴾ على جمع التكسير، قرأها أبو عمر.

الثانية: ﴿خطيئاتكم﴾ على جمع السلامة، قرأها الباقون.

الثالثة: ﴿خطيئتكم﴾ على الوحدة، قرأها ابن عامر.

توجيه القراءتين:

الأولى: (خطاياكم) على جمع التكسير، للكثرة، أي كثرة الخطايا.

الثانية: (خطيئاتكم) جمع مؤنث سالم، جمع قلة، أي قلة الخطايا والآثام.

وبالتالي فقراءة جمع التكسير أوجه وأنسب للمعنى والسياق الذي يتحدث عن بني إسرائيل وأفعالهم، وبجهٍ عام التي نقضوا فيها العهود والأيمان.

وأما قراءة جمع السلامة (خطيئاتكم) على القلة، تتناسب مع الآية السابقة **﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**[89]، من حيث معرض النعم على بني إسرائيل، ومن النعم أيضًا أن غفر الله لهم ذنوبهم وخطيئاتهم وهي مهما كثرت فهي عند الله لا شيء إذا تابوا وأحسنوا والدليل أن الآية ختمت بـ: ﴿سنزيد المحسنين﴾.

والثالثة: (خطيئتكم) على الوحدة: فإنَّ الخطيئة تجري مجرى المصدر، فتكون موحدة في موضع الجمع كسائر المصادر[90].

(89) الأعراف، 161.

(90) الموضح، 559/2.

(ISSN : 2536 - 9555)

[5] قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[91].

ففي قوله: ﴿ذريتهم﴾ قراءتان.

الأولى: ﴿ذرياتهم﴾ بالجمع، قرأها نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب.

الثانية: ﴿ذريتهم﴾ بالإفراد، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

الذرية: اسم يجمع نسل من الإنسان من ذكرًا أو أنثى، وأصلها الهمز لكنهم حذفوه فلم يستعملوها إلا غير مهموزة، وقيل أصلها من الذَّرَّ بمعنى التفريق لأنَّ الله تعلى ذرَّهم في الأرض[92].

قوله: ﴿ذرياتهم﴾ ذريَّات جمع سلامة لـ: ذريَّة، وذريَّة لا تخلو من أن تكون واحدة أو جمعًا، فإن كانت واحدة فلا خلاف في حسن جمعها وجوازه، وإن كانت ذريةً جمعًا، فمن الجموع المكسورة ما جُمع جمع السلامة نحو الطرقات وصواحبات يوسف[93].

وقرأ الباقون "ذرياتهم" بالجمع، لأن الذرية لما كانت تقع للواحد أتى بلفظ لا يقع للواحد فجمع لتخلص الكلمة إلى معناها المقصود إليه لا يشركها فيه شيء، وهو الجمع، لأن ظهور بني آدم استخرج منها ذريات كثيرة متناسبة، أعقاب بعد

(91) الأعراف، 172.
(92) لسان العرب، 38/5.
(93) الموضح، 564.

أعقاب، لا يعلم عددهم إلا الله، فجمع لهذا المعنى(94).

وقوله: ﴿ذريتَهم﴾؛ فالذرية تقع على الواحد والجمع، فما وقع منه على الواحد قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، ثم قال: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾، ومما وقع على الجمع قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وهو مثل البشر يقع على الواحد والجمع كقوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ و﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾(95).

قال ابن منظور: ذرَّ الله الخلقَ: نَشَرهم. والذُّرِّيَّة فَعْلِيَّة منه، وهي منسوبة إلى الذَّرِّ الذي هو النمل الصغار، وكان قياسه ذرِّيَّة، بفتح الذال، لكنه نَسَبٌ شاذٌ لم يجيء إلا مضمون الأول.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وذُرِّيَّة الرجل: ولده، والجمع الذَّراري والذُّرِّيَّات(96).

[6] قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آَتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(97).

ففي قوله: ﴿شركاء﴾ قراءتان.

الأولى: ﴿شِرْكًا﴾ مكسورة الشين، منونة الكاف بغير مدّ، قرأها نافع وعاصم.

الثانية: ﴿شُرَكاء﴾ مضمومة الشين، ممدودة، بلا تنوين، قرأها الباقون على الجمع.

(94) البحر المحيط، 241/4.
(95) الموضح، 564/2؛ الكشف، 483/1.
(96) لسان العرب، 37/5.
(97) الأعراف، 190.

(ISSN : 2536 - 9555)

توجيه القراءتين:

قولـه (شِرْكًا) علـى أنـه مصـدر يـراد بـه الصـفة، فهـو علـى حـذف المضـاف، والتقدير: جعـلا لـه ذا شِرْكٍ أو ذوي شِـرْكٍ فيمـا آتاهمـا، فالآيـة علـى هـذه القراءة: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شِرْكًا فِيمَا آتَاهُمَا﴾.

والمعنـى: جعـلا لله مشـاركًا فـي ربوبيتـه؛ أي: مشـاركًا فـي خلقـه، واعترفـا لغيـر الله بالخلق والرزق، فتعالى الله عن الشُّرَكاء والأنداد(98).

وأما ﴿شركاء) فهي جمع شريك، كما تقول شهيد وشهداء(99).

وشـريك هنـا بمعنـى (مُفعِـل) أي مشـارك؛ كسـميع بمعنـى مسـمع وسـمعاء، والجمـع (فُعَـلاء) يـدل علـى سـجية مـدح أو ذم، ودلَّ هنـا علـى الذمِّ، والمعنـى علـى الجمع: جعلا مما أتاهما الله مشركين به.

﴿سورة التوبة﴾

[1] قولـه تعـالى: ﴿مَـا كَـانَ لِلْمُشْـرِكِينَ أَنْ يَعْمُـرُوا مَسَـاجِدَ اللَّهِ شَـاهِدِينَ عَلَـى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾(100).

ففي قوله: ﴿مساجد﴾ قراءتان:

الأولى: (مسجد الله) بالإفراد، قرأها ابن كثير وابن عمرو ويعقوب.

الثانية: (مساجد الله) بالجمع، قرأها الباقون.

(98) الربوبية: الخلق والرزق والملك.

(99) الموضح، 568/2؛ والفيصل، ص71.

(100) التوبة، 17.

توجيه القراءتين:

قولـه: (مسـجد الله) المـراد بـه المسـجد الحـرام، وهـو الـذي ذكـره الله فـي قولـه تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، والمراد بمسجد الله هو هذا المسجد، فلهذا اختاروا التوحيد، والمعنى ليس للمشركين عمارة المسجد الحرام.

وقوله: (مساجد الله) لفظ الجمع يشمل المسجد الحرام وغيرَه من المساجد؛ لأن المشركين ليس لهم عمارة المسجد الحرام ولا غيره من المساجد، لأنهم ليسوا بأولياء بها، والحكم شامل للجميع، فلذلك اختاروا الجمع(101).

[2] قولـه تعـالى: ﴿قُلْ إِنْ كَـانَ آَبَـاؤُكُمْ وَأَبْنَـاؤُكُمْ وَإِخْـوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُـمْ وَعَشِـيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَـوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَجِهَـادٍ فِـي سَـبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّـى يَـأْتِيَ اللَّهُ بِـأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْـدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(102).

ففي قوله: ﴿وعشيرتُكم﴾ قراءتان:

الأولى: (وعشيراتكم) بالجمع، قرأها عاصم.

الثانية: (وعشيرتكم) بالإفراد، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

قوله: (وعشيراتكم) على الجمع؛ لأنَّ كل واحد من المخاطبين له عشيرة، فجاء بها على الجمع.

وأما (وعشيرتكم) على الإفراد، لأنَّ العشيرة واقعةٌ على الجمع، فاستغنى بها

(101) الموضح، 589/2؛ معاني الفراء، 426/1-427.
(102) التوبة، 24.

(ISSN : 2536 - 9555)

عن جمعها[103].

ويقوي قراءة الإفراد، أن عشيرة تجمع على عشائر وليس على عشيرات، قال الأخفش: ولم يجمع جمع السلامة.

وعشيرة الرجل: بنو أبيه الأدنون، وقيل: هم القبيلة[104].

[3] قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[105].

في قوله: ﴿صلاتك﴾ قراءتان:

الأولى: ﴿صلاتك﴾ بالإفراد، قرأها حمزة والكسائي وعاصم.

الثانية: ﴿صلواتك﴾ على الجمع، قرأها الباقون.

قوله: (صلاتك) على الإفراد؛ بمعنى الدعاء وهو مصدر، والمصدر بلفظه يقع على الجمع والواحد، فلم تجمع لأن المصدر في الأصل لا يدخله التثنية والجمع.

وأما الصلاة المشتملة على الركوع والسجود، فهي بالتسمية بهذا خارجة عن أحكام المصادر، فيصح فيها التثنية والجمع[106].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾؛ أي إذا دعوت لهم حين يأتون بصدقاتهم سكَّن ذلك قلوبهم وفرحوا به[107].

---

(103) الموضح، 2/589-590.

(104) لسان العرب،253/9.

(105) التوبة، 103.

(106) الموضح، 2/604.

(107) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة، 2007م، ج4، ص568.

قال النحاس: وحكى أهل اللغة جميعًا فيما علمنا أن الصلاة في كلام العرب الدعاء[108].

ومعنى الدعاء مناسب لسياق الآية والأحاديث الواردة في سبب نزولها؛ فقد روى مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صَلِّ عليهم»، فأتاه ابن أبي أوفى بصدقته فقال: «اللهم صلّ على آل أبي أوفى»[109].

وأما قراءة الجمع (صلواتك) فالوجه أنَّ المصادر إذا اختلفت ضروبُها جاز جمعُها؛ لأن المانع عن جمع المصادر هو كونها جنسًا يقع على القليل والكثير بشموله لهما، فإذا اختلف أنواعُها خرج اللفظُ من أن يكون مبنيًا عن اختلافها، فجاز تثنيتُها وجمعُها لذلك[110].

وبالتالي فقراءة الجمع تشمل الدعاء والصلاة المشتملة على الركوع والسجود.

﴿سورة يونس﴾

[1] قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[111].

في قوله تعالى: ﴿قطعًا﴾ قراءتان:

الأولى: (قِطْعًا) بكسر القاف وسكون الطاء، على الإفراد، قرأها ابن كثير

(108) النحاس، إعراب القرآن، 234/2.
(109) القرطبي، ج4، ص567.
(110) الموضح، 604/2؛ الكشف، 505/1–506.
(111) يونس، 27.

(ISSN : 2536 - 9555)

والكسائي ويعقوب.

الثانية: (قِطَعًا) بفتح الطاء، على الجمع، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

قوله: (قِطْعًا) بكسر القاف وسكون الطاء هو الجزء من الليل، يُقال أتاني بعد قِطْعٍ من الليل، وقوله: (مظلمًا) على هذا صفة لقوله (قِطْعًا)[112].

قال ابن منظور: والقِطْع: ظلمة آخر الليل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾، قال الأخفش: بسواد من الليل.

وفي التنزيل: ﴿قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾. وقرئ: قِطْعًا...

قال ثعلب: من قرأ قِطْعًا، جعل المظلم من نعتِه[113].

وأما قوله: (قِطَعًا) بفتح الطاء؛ فهو جمع (قِطْعَة)، والمراد بعض الليل، والمعنيان في القراءتين متقاربان؛ لأنه أراد أن وجوههم لسوادها كأنما أغشيت بعضًا من الليل. فأما قوله: (مظلمًا) في هذه القراءة فإنه حالٌ من الليل، ولا يكون صفة للقطع؛ لأنها جمع، فهو مؤنَّث، و(مظلمًا) واحد، فهو مذكر، فلا يكون صفةً لها[114].

قال ثعلب: ومن قرأ قِطَعًا جعل المظلم قِطَعًا من الليل، الذي يقول له البصريون الحال[115].

---

(112) الموضح، 621/2.
(113) لسان العرب، 235/11.
(114) الموضح، 622/2.
(115) لسان العرب، 235/11.

ويكون المعنى: أغشيت وجوههم قطعًا من الليل في حال ظلمته[116].

والأقرب إلى السياق (قِطَعًا) بفتح الطاء مع جعل (مظلمًا) حالاً؛ لأن سياق الآية يصف وجوههم حال قدومهم يوم القيامة؛ ولم يكن سواد الوجوه صفةً لهم في الدنيا فربما كان منهم الأشقر والأبيض والأسود وغير ذلك.

[2] قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[117].

ففي قوله تعالى: (كلمة) قراءتان.

الأولى: (كلمات) على الجمع، قرأها نافع وابن عامر.

الثانية: (كلمة) على الإفراد، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

قوله (كلمات) جمع كلمة؛ لأنه جعل كل واحد مما تُوُعِّد به الذين فسقوا كلمة، ثم جمع فقال: ﴿كلماتُ ربّك﴾.

وأما (كلمة) على الإفراد، الوجه أنه يجوز أن يكون أراد الجنسَ فوحَّد، والمراد به الجمع؛ لأن لفظ الجنس محتمل للقليل والكثير[118].

وهو الأقرب للسياق وتفسير العلماء؛ أي حمله على الجنس، فيكون تفسيره ومعناه كما ذكر القرطبي: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾، أي حكمه وقضاؤه وعلمه السابق ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾، أي خرجوا عن الطاعة وكفروا وكذبوا ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي لا يصدقون[119].

---

(116) معاني القرآن للزجاج، 14/3؛ والقرطبي، 637/4.
(117) يونس، 33.
(118) الموضح، 623/2.
(119) القرطبي، 643/4.

(ISSN : 2536 - 9555)

﴿سورة هود﴾

[1] قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ...﴾[120].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾[121].

ففي قوله: ﴿مكانتكم﴾ قراءتان.

الأولى: (مكاناتكم) على الجمع، قرأها عاصم وحده.

الثانية: (مكانتكم) على الإفراد، قرأها الباقون.

وقد سبق الكلام في نحو ذلك في الآية 135 من سورة الأنعام.

﴿سورة يوسف﴾

[1] قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آَيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾[122].

ففي قوله: ﴿آيات﴾ قراءتان.

الأولى: (آية) على الإفراد، قرأها ابن كثير وحده.

الثانية: (آيات) على الجمع، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

قوله: (آية) على الإفراد، جعل قصة يوسف وأحواله كلها آية واحدة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آَيَةً﴾[123].

قال الزجاج: وقرئت "آيةٌ" ومعناه: عِبْرةٌ، وقد رُويت في غير هذا المصحف: عِيْرةٌ للسائلين، وهذا معنى الآية، ويجوز أن تكون "آيةٌ" بصيرًا للسائلين الذين سألوا

(120) هود، 93.

(121) هود، 121.

(122) يوسف، 7.

(123) المؤمنون، 50؛ الموضح، 688/2.

النبيَّ– صلى الله عليه وسلم–: فأنبأهم بقصَّة يوسف، وهو عنها غافل لم يقرأ كتابًا ولم يأته إلا من جهة الوحي جوابًا لهم حين سألوه(124).

وأما (آيات) بالجمع، والوجه أنَّ كلَّ واحد من أحواله وأموره آية، فاختير الجمع لذلك(125).

[2] قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾(126).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾(127).

في قوله: ﴿غيابة﴾ قراءتان:

الأولى: (غيابات) على الجمع، قرأها نافع وحده في الآيتين.

الثانية: (غيابة) على الإفراد، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

قوله: (غيابات) على أنه جمع غيابة، فكأنه كان في تلك الجب غيابات عدة.

ويجوز أن يكون جعل كل جزء من تلك الغيابة التي كانت في الجبّ ما غيب عنك شيئًا(128).

قال ابن منظور: والغيب: ما اطمأنَّ من الأرض... ووقعنا في غيبةٍ من

(124) إعراب القرآن للنحاس، 315/2؛ معاني القرآن للزجاج، 74/3–75؛ البحر المحيط، 282/5؛ وانظر: القرطبي، 120/5.

(125) الموضح، 669/2.

(126) يوسف، 10.

(127) يوسف، 15.

(128) الموضح، 670/2 بتصرُّف، أبو عبيد معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: عبد السلام هارون، التراث العربي، الكويت، 1960، 303/1.

(ISSN : 2536 - 9555)

الأرض أي في هَبْطةٍ... ووقعوا في غيابةٍ من الأرض؛ أي في منهبط منها.

وغيابةُ كلِّ شيء: قعرُه منه، كالجُبِّ والوادي وغيرهما؛ تقول: وقعنا في غَيْبةٍ وغَيَابةٍ أي هبطةٍ من الأرض؛ وفي التنزيل: ﴿في غيابة الجب﴾[129].

وإن كانت قراءة الجمع تستهويني لتعدد الغيابات في البئر وما لاقاه يوسف من شدة وضيق، وكم يشعر الإنسان في لحظة الكرب بطول الوقت، فهي تعطي الإيحاء بتصور المعنى أكثر، وبشكل أوقع.

قال القرطبي: قرأ أهل مكة وأهل البصرة وأهل الكوفة (في غيابة الجب﴾، وقرأ أهل المدينة: ﴿في غيابات الجب﴾، واختار أبو عبيد التوحيد، لأنه على موضع واحد ألقوه فيه وأنكر الجمع لهذا.

قال النحاس: وهذا تضييق في اللغة[130].

وكأن القرطبي تستهويه أيضًا قراءة الجمع، فيستأنف لكلامه مدافعًا عنها أمام إنكار أبي عبيد لها: "وغيابات" على الجمع يجوز من وجهين: حكى سيبويه سير عليه عشيَّاناتٍ وأصيلاناتٍ، يريد عشية وأصيلاً، فجعل كل وقت منها عشية وأصيلاً، فكذا جعل كل موضع مما يُغيّب غيابة.

والآخر: أن يكونَ في الجب غيابات (جماعة)[131]. وكون للجُبِّ غيابات أقرب إلى الواقع؛ لأن من بين وجوه تفسير الجب كما قال الهرويّ: والغيابة شبه لجف أو طاف في البئر فويق الماء يغيب الشيء عن العين[132].

(129) لسان العرب، 169/10.
(130) القرطبي، 622/5.
(131) السابق، ج122/4.
(132) السابق، 122/4.

واللجف: الناصية من الحوض أو البئر يأكله الماء فيصير كالكهف، والجمع ألجاف[133].

والجُبّ: البئر التي لم تطو، فإذا طويت فهي بئر[134].

وجمع بين الغيابة والجب لأنه أراد ألقوه في موضع مظلم من الجب حتى لا يلحقه نظر الناظرين[135].

[3] قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[136].

في قوله: ﴿فتيانه﴾ قراءتان. الأولى: (فتيانه) على جمع الكثرة، قرأها حمزة والكسائي وعاصم، على الإفراد. الثانية: (فتيته) على جمع القلة، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

أما (فتيانه) فهي جمع فتًى. وفتًى فَعَلٌ، وفَعَلٌ يُجمع على فِعلان، وهو جمع كثرة، وإنما اختير جمع الكثرة ههنا لأن الرحال أيضًا في قوله: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾، جمع الكثرة، فلما كانت الرحال كثيرة جُعل المتولون لتعبئة البضاعة فيها أيضًا كثيرة. وأما (فتيته) فهي جمع فتًى للقلَّة، وفَعَلٌ يُجمَع في العدد القليل على فِعْلَةٍ[137]. ولعل المعنى: خاصته والمقربون الذين يساعدون يوسف في أعماله، وهم قليل، كما نقول الآن: سكرتارية المكتب أو الوكلاء.

---

(133) لسان العرب، 266/12.
(134) لسان العرب، 188/2.
(135) القرطبي، 122/5.
(136) يوسف، 62.
(137) الموضح، 682/2-683؛ القرطبي، 201/5؛ إعراب القرآن للنحاس، 438/2.

(ISSN : 2536 - 9555)

﴿سورة الرعد﴾

[1] قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[138].

في قوله: ﴿الكفَّار﴾ قراءتان: **الأولى:** (الكافر) على الإفراد، قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو. **الثانية:** (الكفَّار) على الجمع، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

قوله (الكافر) على الإفراد، قيل لأنه يعني به أبو جهل[139].

وهو يتناسب مع السياق لأن الآية السابقة تتحدث عن كفار مكة ومشركي قريش، وهو قوله: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾[140]. ثم قال ربنا في الآية التالية: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[141]، فهو ذكر للخاص بعد العام.

وأما قوله: (الكفار) جمع تكسير للكثرة، ولو أراد القلة لجمعها جمع سلامة، والمقصود سيعلم كل الكفار على اختلاف أنواعهم وكثرة مذاهبهم لمن عقبى الدار، ومما يفيد العموم والشمول لعقبى حال من كفر في كل زمن وفي كل مكان.

﴿سورة إبراهيم﴾

[1] قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾[142].

---

(138) الرعد، 42.
(139) القرطبي، ج5، ص303.
(140) الرعد، 41.
(141) الرعد، 42.
(142) إبراهيم، 18.

في قوله: ﴿الريح﴾ قراءتان.

الأولى: (الرياح) على الجمع، قرأها نافع.

الثانية: (الريح) على الإفراد، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

قوله: (الرياح) على الجمع؛ لأن المراد إنَّ هذا الرماد الذي شبّهت به أعمال الكفار اشتدَّت به الرياح من كل وجه حتى فرَّقته، وإن كانت الريح الكثيرة تعصف به كان أشدّ لتفريقه، فلهذا جمع الرياح.

فالجمع للتهويل ولتصوير فظاعة الموقف، وإن كان المفرد يدل على الجمع أيضًا، ولكن نطق الجمع يعطيك إيحاءً بالحصار والإحاطة وأنه لا مفر.

وأما (الريح) على الإفراد، فقد أراد به جنس الريح لا ريحًا واحدة، فمعنى الجمع حاصل فيه أيضًا، وإن كان لفظة لفظ الواحد لما فيه من شيوع الجنس وشمول الألف واللام[143].

﴿سورة الحجر﴾

[1] قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[144].

ففي قوله: ﴿الرياح﴾، قراءتان متواترتان.

الأولى: (الريح) على الإفراد، قرأها حمزة وحده.

الثانية: (الرياح) على الجمع، قرأها الباقون.

---

(143) الموضح، 2/708-709.

(144) الحجر، 22.

(ISSN : 2536 - 9555)

توجيه القراءتين:

قوله: (الريح) على الإفراد؛ يراد بها الجنس والكثرة، ولهذا وُصف بالجمع في قوله: (لواقح). وقرأ الباقون (الرياح) على الجمع؛ ووجهه ظاهر؛ وذاك أن الرياحَ وصِفَتَ ههنا بقوله: (لواقح) وهي جماعة، فينبغي أن يكون الموصوف أيضًا جماعة؛ ليتوافقا، فالصفة والموصوف شيء واحد، ويقوي هذه القراءة أنها إذا قُرِئت على الوحدة كان معناها الجمع(145).

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ﴾ قراءة العامة ﴿الرياح﴾ بالجمع، وقرأ حمزة بالتوحيد، لأن معنى الريح الجمع أيضًا وإن كان لفظها لفظ الواحد كما يقال: جاءت الريح من كل جانب، كما يقال: أرض سباسب– مستوية بعيدة–، وثوبٌ أخلاق، وكذلك تفعل العرب في كل شيء اتسع. وأما وجه قراءة العامة فلأن الله نعتها بـ﴿لَوَاقح﴾ وهي جمع، ومعنى لواقح حوامل، لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع، قال الأزهري: وجعل الريح لاقحًا لأنها تحمل السحاب، أي تُقله وتصرّفه ثم تَمْريه– أي تجعل المطر ينزل منه– فتستدرّه(146).

وتلوين الخطاب بين القراءات مناسب للسياق، بيد أن قراءة الجمع فيها مواءمة لفظية ومعنوية.

﴿سورة الإسراء﴾

[1] قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾(147).

(145) الموضح، 719/2–720؛ معاني الفراء، 87/2؛ إعراب النحاس، 193/2.
(146) القرطبي، 377/5–378؛ ومعاني القرآن للزاج، 145/3.
(147) الإسراء، 64.

في قوله: ﴿رَجِلِك﴾ قراءتان متواترتان. **الأولى:** (رَجِلِك) بكسر الجيم، قرأها عاصم. **الثانية:** (رَجْلِك) بسكون الجيم، قرأها الباقون.

توجيه القراءتين:

قوله: (رَجِلِك) بكسر الجيم، على الإفراد بمعنى: رَاجل.

وأما قوله: (رَجْلِك) بسكون الجيم، على الجمع، أي: جمع راجل؛ نحو: راكب ورَكْب وصاحب وصَحْب(148).

وفي اللسان: ورَجِلَ الرَّجُلُ رَجَلاً، فهو راجل ورَجَلٌ ورَجيلٌ ورَجُلٌ ورَجْلان؛ الأخير عن ابن الأعربي، إذا لم يكن له ظهر في سفر يركبه؛ أنشد ابن الأعرابي:

عَلَــيّ، إذا لاقيــت ليلــى بخلــوة أن ازدار بيـتَ الله رَجْـلانِ حافيًا

وبالتالي فقراءة (رَجْلِك) بالسكون مخفف من رَجِل، كما تقول: عَضْد وكَتْف بالإسكان من عَضُدٍ وكَتِفٍ، وهو على هذا أيضًا واحد يراد به الكثرة(149).

وإن كان سيبويه جعل (رَجْل) اسمًا للجمع(*).

اسم الجمع: ما يدل على أكثر من اثنين، وليس من أوزان الجموع، مثل رَكْب (جمعا لراكب) أو ليس له واحد من لفظه كقوم وخيل وإبل(150).

ورجح الفارسي قول سيبويه وقال: لو كان جمعًا ثم صُغِّر لرُدَّ إلى واحده ثم جُمع ونحن نجده مصغرًا على لفظه؛ وأنشد:

---

(148) الموضح، 761/2؛ وشرح المفصل لابن يعيش، 133/5.

(149) لسان العرب، 182/5.

(*) معاني الفراء، 127/2.

(150) د. مختار، دراسات لغوية في القرآن، ص238.

(ISSN : 2536 - 9555)

بنيْتُـــه بعُصـــبةٍ مـــن مالهـــا أخشى رُكَيْبًا ورُجَيْلاً عاديًا[151]

وسواء جاءت (رَجَل) بفتح الجيم أو (رَجْل) بسكون الجيم على سبيل الإفراد؛ لمجيئهما على الإفراد واحد يراد به الكثرة، وكذلك يتلاءم الإفراد مع الألفاظ المفردة في سياق الآية (صوتك)، (خيلك). وإن كانت واحدةً يراد بها الكثرة أيضًا.

ولو جاءت على سبيل الجمع (رَجْلِك) فلكثرة الأتباع الذين أغواهم الشيطان.

﴿سورة الكهف﴾

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[152].

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[153].

والشاهد في الآيتين قوله: ﴿ثَمَر﴾ حيث وردت بفتحتين، وفي قراءات أخرى وردت ﴿ثُمُر﴾ بضمتين، وقد سبق الإشارة لهذا في سورة الأنعام الآية 99.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[154].

الشاهد هنا قوله: ﴿الرياح﴾، حيث وردت بالجمع، وفي قراءات أخرى وردت بالإفراد، وقد سبق الإشارة لهذا في سور الأعراف الآية 57، وإبراهيم الآية 18، والحجر الآية 22.

---

(151) لسان العرب، 5/182-183.

(152) سورة الكهف، [32].

(153) سورة الكهف، [42].

(154) سورة الكهف، [45].

نتائج البحث

1. يرنو البحث إلى الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم؛ حيث إن النص واحد ولكن من قراءة لأخرى قد يختلف اللفظ نفسه إفرادًا وجمعًا مع سماع النص بذلك تركيبيًا ودلاليًا دون إخلالٍ بأيٍّ منهما.
2. النص اللغوي ليس عاريًا من دلالة كلماته، ولا يمكن أن تنفصل دلالة اللفظ عن سياقه، وبالتالي لا يمكن أن يكون تلوين الخطاب في القراءات القرآنية بين الإفراد والجمع خاليًا من الظلال الدلالية والدقائق الفنية.
3. ضرور الاهتمام بلغة القراءات القرآنية على أنها وشاهد لغوية وليس على أنها شواهد للعبادات والتشريعات فقط؛ فالقراءات القرآنية تمتلئ بذخائر وكنوز لغتنا العربية، وتمثل تاريخًا حقيقيًا للهجات في الجزيرة العربية ما يوفر علينا الكثير من الوقت للبحث عن أصولها ومدى صحتها.
4. القراءات القرآنية تفتح بابًا عظيمًا لحل الكثير من المشكلات اللغوية المختلف فيها كفتح همزة إن بعد القول، وتذكير العدد وتأنيثه إذا وقع صفة وغير ذلك كثير من القضايا اللغوية.
5. موضوع البحث بحاجة ماسة إلى التوسع في مادته؛ ولذا أوصى الباحثين بالنظر إلى النصوص القرآنية بعناية أكثر؛ وخاصة أن علماء المعاجم واللغة قد انتبهوا إلى ذلك جيدًا كابن منظور في لسان العرب الذي لم يكتفِ فقط بإيراد الشاهد من القراءات بل قام بتوجيهه وتفسيره لغويًا ودلاليًا.
6. أمامنا كنزان يحتاج إلى الركن الثالث، الكنز الأول وهو كثرة الكتب التي تحدثت عن توجيه القراءات ولكنها في كثير منها افتقدت إلى التحليل الدلالي والسياقي للنص. والكنز الثاني المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن

(ISSN : 2536 - 9555)

للأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، والذي أورد فيه قسمًا لصور القراءات وأضاف لها توضيح البنية الصرفية للألفاظ.

ونحن بحاجة إلى الركن الثالث وهو الربط بين البنية والنص لاستنتاج الدلالة وتوجيه النص، وهو بحاجة إلى الكثير من الجهد من قبل الباحثين.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن أبي مريم، نضر بن علي بن محمد الشيرازي، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، مكتبة النوعية الإسلامية، مصر، الطبعة الثالثة، 2005م.
2. ابن الجزري، الإمام الحافظ أبو الخير، النشر في القراءات العشر.
3. ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
4. ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة وبيروت، الطبعة الثالثة، 1979م.
5. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981م.
6. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار أبي حيان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1996م.
7. ابن منظور، لسان العرب، دار التوفيقية، القاهرة، 2009م.
8. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م.
9. أبو زرعة بن نجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، الرسالة، بيروت، 1982م.

10. أبو عبيد معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: عبد السلام هارون، التراث العربي، الكويت، 1960.

11. أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، شركة سطور، الرياض، الطبعة الأولى، 1413هـ/2002م.

12. ـــــــ، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 2006م.

13. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، د.ت.

14. البناء، أحمد بن محمد الدمياطي، أتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، تعليق وتصحيح: الشيخ المرحوم علي محمد الضباع، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، د.ت.

15. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، دار الحديث، القاهرة، 2005م.

16. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، الحلبي، مصر، الطبعة الرابعة، 1978م.

17. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د.ت.

18. عباس أبو السعود، الفيصل في ألوان الجموع، دار المعارف، مصر، 1971م.

19. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة عشرة، 2008م.

(ISSN : 2536 - 9555)

20. عبد الكريم إبراهيم صالح، الإعجاز في تنوَّع وجوه القراءات القرآنية، دار الصفوة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2018م.

21. فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، الطبعة الأولى، 1981م.

22. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م.

23. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة، 2007م، ج2.

24. القسطلاني، شهاب الدين، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: عامر السيد عثمان، د. عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1972م.

25. مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: د. محي الدين رمضان، الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م.

26. النحاس، أبو جعفر، إعراب القرآن للنحاس، تحقيق: د. زهير غازي أحمد، منشورات وزارة الأوقاف العراقية، 1977م.